**المحاضرة الثانية:**

**أثر التحولات الاجتماعية والسياسية في الروية المغاربية.**

**\_ تقديم:**

الرواية حامل معرفي يعنى بتفكيك البنى الاجتماعية والسياسية والأنظمة الإيديولوجية ،وراصد دقيق لتحولات الواقع وصيرورته.

وقد عرفت البلدان المغاربية مراحل تحول في تاريخها على مستويات متباينة، بدا بالحقبة الاستعمارية ثم ما بعد الاستعمارية بكل تداعياتها وتحدياتها.

فإلى أي مدى أثرت هذه التحولات في الرواية المغاربية؟ وما مستويات هذا التأثير؟

1. **التحول على مستوى البنية المضمونية (مرحلة التأسيس):**

مرت البلدان المغاربية بتحولات عميقة على مستوى البنية والنظامين الاجتماعي والسياسي، فقد وقعت تحت القبضة الاستعمارية، وعانت القهر والظلم والتجهيل ومصادرة الحقوق وطمس الهوية، وكان من النتائج الوخيمة لذلك انتشار الأمية بنسب مرتفعة، وبذلك كان من الطبيعي أن يتأخر ظهور الرواية وغيرها من فنون السرد في البلدان المغاربية مقارنة بنظيرتها المشرقية، غير أنها ما فتئت تشهد تطورا على مستوى البنية المضمونية وعلى مستوى اللغة والانخراط في التجريب. فضلا عن المواكبة الإبداعية "لتاريخ وتحولات هذا الفضاء، فهو أدب يجسد ويصدر عن قواسم مشتركة تعتبر ثمرة استلهام الأدباء لنفس السياق السياسي والسوسيوثقافي"، مما يعني أن هناك مرجعية واحدة يصدر عنها هؤلاء الكتّاب، بل و" ثمرة استلهامهم لنفس المتخيل ولنفس الذاكرة اللغوية المشتركة الغنية والمتجذرة في المقدس والدنيوي والمدوّن والشفوي منذ قرون".

فبعد الحقبة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال انخرطت البلدان المغاربية في بناء الدولة الوطنية، حيث تبنى أغلبها الإيديولوجيا الاشتراكية بوجهيها السياسي والاجتماعي، لهذا أولى الخطاب الروائي أهمية قصوى" للرسالة الاجتماعية، وبشكل خاص لقضايا الثورة والتغيير والالتزام"؛ ففي الجزائر وكما هو معلوم كانت أول رواية كتبت باللغة العربية هي "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة (1971)، حيث تناولت واحدة من أبرز المسائل التي عاشتها الجزائر في مرحلة السبعينيات وهي تأميم الأراضي وإطلاق مشروع الثورة الزراعية. لذلك تعد أهم رواية تجسد التحولات الاجتماعية والسياسية، من خلال الصراع الاجتماعي بين الإقطاعي المستغل وبقية الفئات الاجتماعية.

ولا تختلف رواية "الزلزال" للطاهر  وطار في توجهها الاجتماعي، إذ قاربت الموضوعة ذاتها في سعي من الكاتب لنقد النظام الإقطاعي، بتفكيك البنى الاجتماعية للمجتمع الجزائري. أما رواية "اللاز" فإنها رصدت التحولات السياسية والإيديولوجية والموقف من الثورة.

والأمثلة كثيرة يمكن أن نذكر منها رواية "مالا تذروه الرياح" لمحمد العالي عرعار، و"نهاية الأمس" و" بان الصبح" لعبد الحميد بن هدوقة.

أما في تونس فقد انطوت نصوص المرحلة الأولى (التأسيس) على تمجيد النضال الوطني بالانتقال من الاحتلال إلى بناء الدولة الوطنية، مع المزج بين التاريخي والواقعي، حيث تعدّ روايات محمد العروسي المطوي نماذج ( ومن الضحايا 1956)، فضلا عن رصد مشكلات الواقع كالنزوح بين الأرياف والمدن والهجرة وما ينجم عنها من مشاكل مثل (بودودة مات) لمحمد رشاد الحمزاوي و(المنعرج 1964) لمصطفى الفارسي و( البحر ينشر أمواجه 1975) لمحمد صالح الجابري . وعلى العموم فقد نزعت الرواية التونسية في هذه المرحلة نحو" تصوير أشكال الصراع الوطني والاجتماعي، وهي التيمة الكبرى التي هيمنت على السرد."

كما انشغلت الرواية المغربية بالقضايا نفسها، من مقاومة الاستعمار إلى إعادة بناء الهوية الوطنية كما نجد ذلك في روايات عبد الكريم غلاب (سبعة أبواب 1965، دفنا الماضي 1966) و(جيل الظمأ1967) لمحمد عزيز الحبابي. ويذهب الباحث المغربي عبد العالي بو الطيب إلى توصيف بعض خصائص الرواية المغربية وتأثير التحولات السياسية والاجتماعية عليها، ومنها:

\_ تكريس هيمنة السياسي على الثقافي.

\_ الاهتمام بالتاريخ المغربي المعاصر.

\_ الحضور القوي لبعض مظاهر الاجتماعية السلبية.

\_ مما أدى إلى إعاقة تطور الجوانب الفنية.

وعليه فقد انحصرت موضوعاتها في الاستعمار، الاستقلال، الفقر ، المساواة، الديمقراطية، التخلف، الصراع الطبقي. وهي عناصر مشتركة بين الروايات المغاربية.

بينما كان الإنتاج الروائي الليبي قليلا في مرحلة التأسيس سواء على مستوى الكم أو الكيف، إذ بعد محاولة محمد فريد سيالة (اعترافات انسان 1961) لم تظهر نصوص روائية جديدة إلى غاية منتصف الثمانينيات.

1. **أثر التحولات الاجتماعية والسياسية في رواية الثمانينيات وما بعدها:**

مثلت مرحلة الثمانينيات مرحلة التململ الاجتماعي والسياسي، فقد كشفت عن الأزمة الحادة في مفاصل الدولة الوطنية مع سيطرة الشعور بالخيبة والانكسار" فاتجهت الرواية منذئذ نحو تشخيص تمزقات الفرد، واستعادة عالم الطفولة، والانشغال بتأمل الكتابة في ذاتها، في حقبة اتسمت بتنامي الشعور بخيبة الأمل أمام انكسار المشاريع الكبرى للتغيير والثورة"، وكانت ثمرة ذلك التوجه نحو التجريب وتفجير الأشكال التقليدية في الكتابة الروائية، مع عودة الكتّاب إلى الاهتمام بالبحث عن الذات وإعادة بناء الهوية عبر محاورة الأنا (التراث) والآخر (الغرب) وإعادة طرح أسئلة جديدة . مع حضور الوعي بالكتابة وإشكالاتها والاشتغال على اللغة فضلا عن توظيف الذاكرة (التراث الشعبي و العجائبي والخرافي) والمكونات السير ذاتية.

وهذا ما جسدته روايات واسيني لعرج مثل ( نوار اللوز 1983) و(ما تبقى من سيرة لخضر حمروض 1989) حيث تناول مظاهر البؤس الاجتماعي والسياسي التي انتهى إليها الإنسان الجزائري.

أو الروايات المغربية على غرار (المرأة والوردة) لمحمد زفزاف و(الفريق) لعبد الله العروي و(أحلام بقرة) لمحمد الهرادي.

وتتجلى المظاهر ذاتها في الرواية التونسية في جملة من الأعمال الروائية تتمثلها ( الرحيل إلى الزمن الدامي 1981) لمصطفى المدايني و(أعمدة الجنون 1985) لهشام القروي، و(النفير والقيامة 1985) لفرج الحوار. و(حقول الرماد 1985) لليبي أحمد الفقيه.

أما في مرحلة التسعينيات فقد طغت ثيمات جديدة فرضها الواقع، إذ انخرطت الرواية الجزائرية في توصيف الأزمة الأمنية وتوثيقها، فظهر ما يسمى بالأدب الاستعجالي الذي انصب اهتمامه على تمثّل موضوعة الإرهاب بالجمع بين المتخيل والواقعي والتسجيلي، مثل (تيميمون 1993) لرشيد بوجدرة و(سيدة المقام، مرايا الضرير) لواسيني لعرج و(ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي.

أما روايات الشباب فقد نزعت نحو التجريب وتجاوز الأشكال السردية القائمة والعودة إلى التراث، فضلا عن مقاربة موضوعة الإرهاب التي جسدتها أعمال بشير مفتي (المراسيم والجنائز، أرخبيل الذباب، أشجار القيامة وغيرها)، بالإضافة إلى ياسمينة صالح في (بحر الصمت، ووطن من زجاج)، وفضيلة الفاروق في (تاء الخجل).

وعلى الرغم من أن بقية الأقطار المغاربية لم يمسها الإرهاب في مرحلة التسعينيات، إلا أن الرواية فيها ظلت تقارب موضوعات الواقع من خلال تقنيات سردية جديدة كالمزج بين الأسطوري والواقعي كما في خماسية الليبي ابراهيم الكوني(التبر1990،المجوس1991)، أو التجريب وتوظيف التراث مثلما هو الحال في الروايات التونسية (الدراويش يعودون إلى المنفى1992، القيامة الآن 1994، شبابيك منتصف الليل 1996،) لابراهيم الدرغوثي و(رأس الدرب 1994، صهيل الزمان 1998) لرضوان الكوني و (على نخب الحياة 1993، الكرسي الهزار لآمال مختار) و(ليلة الغياب 1997، طرشقانة 1999) لمسعودة بوبكر.

والأمر نفسه بالنسبة للرواية المغربية ممثلة في (جرحى الحياة) لبنسالم حميش و(لعبة النسيان) لمحمد برادة.

ولم تظهر الرواية الموريتانية إلا مع مطلع الثمانينيات فقد انشغلت بقضايا الهوية وتصوير الصراع مع المستعمر والصراع الإيديولوجي بعد الاستقلال مثل روايتي أحمد ولد عبد القادر (الأسماء المتغيرة1981، القبر المجهول 1984).

بعد الألفية تنوعت موضوعات الرواية المغاربية ومزجت بين التاريخي والسياسي وأعادت طرح أسئلة حول العنف وحول الكتابة والعلاقة بالآخر. فالروايات الجزائرية مثلا راحت تتناول موضوعات انهيار المجتمع وحضور الفتنة، ونقد السياسي وعدم الكفاءة والتطرف مثل (راس المحنة، الرماد الذي غسل الماء) لعز الدين جلاوجي و(الكافية والوشام) لمحمد مفلاح.

ويمكن الإشارة إلى روايات ما بعد الربيع العربي وخاصة روايات محمد الأصفر التي صورت تمزقات الإنسان الليبي، ورصدت موضوعة الهجرة بعد الحرب مثل (جمايكا، تمر وقعمول).

وعلى العموم فإن الرواية المغاربية ذات قواسم مشتركة ارتبطت بالتحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة المغاربية.

**ملاحظة:**  للتوسع أكثر يمكن العودة إلى:

\_ المتون الروائية الواردة في المحاضرة.

\_ عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب,

\_ عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة.

\_أحمد المديني: الكتابة السردية في الأدب المغربي (التكوين والرؤية).

\_ ابراهيم عباس: الرواية المغاربية الجدلية التاريخية والواقع المعيش: دراسة في بنية المضمون.

\_ حميد الحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع.

**المحاضرة الثالثة:**

**قضايا الرواية المغاربية السياسية والاجتماعية**

**تقديم:**

هذه المحاضرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمحاضرة السابقة، بل إنها الوجه الآخر لها، فالأولى تناولت أثر التحولات الاجتماعية والسياسية في الرواية المغاربية، وهذه تقارب القضايا الاجتماعية والسياسية، لذلك فالأمر يكاد يكون نفسه.

**\_ قضايا الرواية المغاربية في مرحلة التأسيس:**

يمكن القول إن الرواية المغاربية قد انخرطت - منذ نشأتها- في العناية بالمضامين الاجتماعية والسياسية، ذلك أن الروائي الماربي كان لصيقا بالواقع المعيش، وبقضايا وطنه وهموم شعبه، يتعلق الأمر بحمل رسالة التحرر والالتزام بها، وبسؤال الهوية وكل ما ارتبط بالشخصية الوطنية، حيث يمثل ذلك شكلا من أشكال المقاومة والدفاع عن الأوطان، وهو أحد أشكال الوعي بأهمية الكتابة الروائية وحضورها، إلى جانب أشكال أخرى في عملية المقاومة متكاتفة مع جهود الإصلاحيين والتنويريين، وما صاحب ذلك من حركات سياسية وفكرية غايتها التحرر من الاستعمار بكل أشكاله,

وقد انطوت جلّ النصوص الروائية المغاربية، سواء تلك المكتوبة باللغة الفرنسية \_ وهي الأسبق وجودا\_ أو تلك المكتوبة باللغة العربية على جميع قيم التحرر، وتصوير الواقع المرير، وبث الوعي الوطني.

ويمكن التأسيس لهذه المرحلة برواية (ندمة 1956) لكاتب ياسين و ثلاثية محمد ديب(الدار الكبيرة 1952، الحريق 1954، النول 1957)، فهي ليست روايات اجتماعية تفضح السلوك العنصري الاستعماري، ونما هي روايات تنبئية تستشرف المستقبل وتبشر ببزوغ فجر الحرية.

يضاف إليها أعمال ملك حداد ( سأهبك غزالة 1959، التلميذ والدرس 1960، رصيف الأزهار لا يجيب 1961). وفي المغرب تجلت روايات إدريس الشراييبي (الماضي البسيط 1954، الماعز 1956). وهي كما نرى روايات مقاومة تضع الهم الوطني في صدارة انشغالها، بل تتعدى ذلك لى الكشف عن التزام مؤلفيها انخراطا كليا في القضايا الوطنية. ويمكننا في هذا المقام الاستناد لى مقولة كاتب ياسين الشهيرة : " إنني أستعمل اللغة الفرنسية لكي أقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا"، فضلا عن روايات عبد الكريم غلاب ومحمد العروسي المطوي التي تحدثتا عنها في المحاضرات السابقة. وعلى العموم فإن روايات ما قبل الاستقلال سواء كتبت باللغة الفرنسية أو العربية ذات وحدة موضوعية، تمثلت في الرسالة التي حملتها وهي مقاومة المستعمر والانشغال بالهموم الوكنية ومعاناة الشعوب من الفقر والظلم والحرمان.

**\_ قضايا الرواية المغاربية بعد الاستقلال:**

الرواية هي أحد الأشكال الفنية التي رصدت مرحلة التحولات الاجتماعية والسياسية، ولاسيما مرحلة ما بعد استقلال الدول المغاربية، وما شهدته من انتقال على مستوى البنية الاجتماعية والسياسية، وما حملته من آمال عريضة في بناء غد مشرق ومشاريع وطنية كبرى.

ومن هنا عملت الرواية المغاربية على رصد هذه اللحظة التاريخية الفارقة، وفق رؤية جديدة مركزها بناء الدولة الوطنية الوليدة وحمايتها، والانخراط في بناء مجتمع جديد، حيث جاءت روايا هذه المرحلة (الستينيات والسبعينيات) متناغمة مع رؤى السلطة السياسية والحركة الاجتماعية، إذ حملت خطابات ورسائل تندرج ضمن تيار البناء والتشييد من جهة، ومن جهة أخرى نحو نقدية اجتماعية غايتها التوجيه، للوقوف على الخلل الاجتماعي أو العائق الذي يعرقل المسيرة الوطنية، التي تهدف إلى بناء مجتمع عصري وتضميد جراح التاريخ. وقد كان الروائيون على درجة من الوعي بأهمية الانخراط في المشروع الوطني، عن طريق تسخير أدواتهم الفنية في سبيل تحقيق ذلك.

والروايات المغاربية كثيرة في هذا المقام وقد ذكرناها في المحاضرات السابقة، يمكن التذكير ببعضها:

\_ ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

\_اللاز للطاهر وطار.

\_ برق الليل للبشير خريف

\_ الخبز الحافي لمحمد شكري

\_ المرأة والوردة لمحمد زفزاف.

وهذه الروايات ذات بعدين اجتماعي ونفسي، إذ تقوم على البوح والتركيز على المرحلة الاستعمارية، وكأنها تمارس نوعا من العلاج النفسي.

وهي الرسالة ذاتها التي تكفلت بها روايات الأزمة في تسعينيات القرن العشرين في الجزائر(سيدة المقام، مرايا الضرير) لواسيني، (الرجل القادم من الظلام) لابراهيم سعدي، و(تيميمون) لرشيد بوجدرة وغيرها.

ويمكن كذلك التنويه بروايات ما بعد ثورات الربيع العربي وخاصة رواية (جمايكا) لمحمد الأصفر.

وخلاصة القول فالرواية المغاربية رصدت جل التحولات الاجتماعية السياسية، راصدة حركية الواقع المغاربي، من خلال زاوية انتقادية في كثير من الأحيان.